

الشعر بين الوثنية والإيمان

للأستاذ عطية الشيخ

لاحظ نقاد الأدب العربي من قبل نخود الروح الشعري بين العرب إرث ظهور الإسلام ، وإن الضعف الذي طرأ على الشعر لا يقتصر على الشعراء الذين ظهروا إبان عصر النبوة والخلفاء الراشدين فحسب ، بل أدرك الشعراء المخضرمين أنفسهم ، فسكتوا وكثرت وضعف قوتهم .

وأنخذ هؤلاء النقاد من الموازنة بين شعر ليبيد وحسان في الجاهلية والإسلام برهاناً على صدق دعواهم ، وعللوا ذلك بأسباب شتى منها : انهيار شعراء الجاهلية ببلاغة القرآن الذي ألحقهم فضاحته ، ومنها تغير الموضوعات التي اعتادوا النظم فيها بعد أن أصبحت منكورات يحرمها الإسلام : كالفخر بالنسب ، وتعجيد المعصية ، والحض على الثأر ... الخ ، ومنها اشتغال العرب بالحروب ضد الإسلام أولاً ، ونشر سلطانه في الآفاق بعد أن آمنوا به ثانياً ؛ ومنها أن الشعراء المخضرمين أدر كوا الإسلام في شيخوختهم فشاخ شعرهم وخبت أرواحهم ، كما شابت وضعفت جسامهم ؛ ومنها أن القرآن العظيم نال من قدر الشعر والشعراء في مثل قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ... الآيات » ، إلى غير ذلك من الملل المروقة لطالاب الأدب .

وعندى أن هذه الأسباب مع وجاهتها إنما هي أعراض لثة كبرى ، وأن ما لاحظته نقاد الأدب العربي لا ينحصر في عصر صدر الإسلام وحده ، ولا في شعراء العربية فحسب ، وإنما هو حالة عالية للشعر والشعراء في كل زمان ومكان ، خلاصتها أن الوثنية والزندقة والإباحية من عوامل نمو الشعر ، وأن الإيمان والاستقامة والفضيلة من عوامل ضعفه ، وأن البيئات الوثنية أخصب للشعر من بيئة الإسلام والإيمان بمعناها الأعم ، وبذلك تستطيع أن تمالخولة الشعراء الوثنيين في الهند عن الشعراء المسلمين هناك مع اتحادهم في البيئة والجنس ؛ وخلق أوروبا في العصور الوسطى أيام تغلب سلطة الكنيسة من شعراء مجيدين كهميروس قبل المسيحية وكهيجو وجوته بعد عهد الإحياء ، وتغلب روح الشك وضعف الكنيسة ، وعدم ظهور شاعر يهودي يؤبه له لمرافقة هذا الشعب في الإيمان بتعاليم دينه ، وجمال شعر الأندلس وقوة خياله في عصر ملوك الطوائف بعدد ضعف الشعور الديني وشيوع التلجلج والإباحية ، وظهور شعراء مجيدين في لغة الضاد بعد غزو الآداب والمقائد والعلوم والجيوش الأوروبية للبلاد غزواً زعزع الإيمان بالقديم ، وضعف الشعر العربي في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، وقوته قبل ذلك العصر في الجاهلية ، وبعده في أيام الأمويين والعباسيين عند ما ضعف الوازع الديني ودخل في حيا الدولة الإسلامية كثير من الشعوب الأعجمية ، وأشاعوا في العرب عاداتهم وعقائدهم وتقاليدهم وأمراضهم الاجتماعية ؛

إذ أصبح الظل به ليلة وجال فيه النصف شبه الخيال
فقلت زد فأنشد :

فلما ماج بحر الابل بيني وبينكم وقد جدت ذكرا
أراد لقاءكم إنسان عيني قد له التمام عليه جسرا
فقلت إيه ! فقال :

ولما أن رأى إنسان عيني بصحن الخمد منه غريق ماء
أقام له المذار عليه جسراً كما مد الظلام على الضياء
فقلت أعد ، فأعاد وقال حبك لثلا تكثر عليك الماني فلا تقوم
بحق قيمتها ثم أنشد :

هات المدام إذا رأيت شبيهها في الأفق يا فرداً بنير شبيه
فالمصبح قد ذبح الظلام بتصله فندت تخاصمه الحائم فيه
ضياء الدفلي (بنداد)

يا هل ترى أظرف من يومنا قلد جيد الأفق طوق العقيق
وأطلق الورق بعيدانها مرتصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب نحر الندى في الروض إلا بكؤوس الشقيق
فلم ينصفوه في الاستحسان ، وردوه من القبط إلى أضيح
مكان . فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله إلا ما زدني
من هذا النمط فأنشد :

أدركها فالسماء بدت عروساً مضمخة الملابس بالفضا
وخد الروض أحمره صقيل وجفن النهر كل بالظلال
وجيد النصف يشرق في لآل نضى بهن أكتاف الليالي
فقلت زد وعد ، فعاد والارتياح قد ملك عطفه ، واليه قد
رفع أنفه ، وأنشد :

لله سر عند ما زرته عابن طارفي منه سحراً حلال

الأندلس ، وإن كان لم يمال السبب ولم يزد عن ملاحظة أن بين الحروف أنساباً وقرابات تجمل أفضلاً في الشعر أجل من لفظ آخر متحد معه في معناه ، ومثل لذلك بكلمة « خفانا » في قول الشاعر :
لعمرك إنى يوم بانوا - فلم أمت خفانا على آثارهم - لصبور
وذكر أن كلمة « خفانا » لها من الجلال الفني ، ما لا تصلح له كلمة « سرياً » .

٣ - ذكر علماء النفس أن النمو في أية ناحية من نواحي العقل الثلاث « الفكر والإرادة والماطفة » يضعف الناحيتين الأخريين ، بمعنى أن التفكير الكثير يضعف الماطفة والإرادة ، وضربوا لذلك مثلاً : الفيلسوف الذي حضر في أخريات أيامه حفلة موسيقية فلم يفقه لها معنى ، ولم تتحرك لها مشاعره ، ولم تتأثر بها عواطفه ، فنذر أن لو عادت حياته كرة أخرى لمخصص جزءاً من وقته لممارسة الفنون الجميلة ، كما ذكروا أن الإرادة تضعف الماطفة ، واستنبطوا أن قواد الجيرش لا شفقة عندهم ، وأن المرأة تطنن عاطفتها على التفكير فيكون ضميماً فيها .

والإيمان فلسفة يقينية لا يقوم معها شك ، ولا يثبت في مرعاها مستحيل ، ولها منطق خاص يسيطر على ملكات النفس وقواها ، فلا يبق لغيره مجال ، ولا يزج به شعر ولا فن إلا ما يتصل بمنطق العقيدة وبواعثه ، ويكون إذ ذاك شعراً محلياً لا يسبقه إلا من شارك الشاعر في عقيدته فيفقد الجلال المبقرى للفنون الجميلة الذي يحملها لغة عامة مفهومة للناس كافة ، إذ لا يخفى أن النفوس البشرية تنحد في إدراك الجلال الرائع ، بحيث ترى أن التماثيل والقصائد والتصورات والمقطوعات الموسيقية العالية مقدرة عند جميع الشعوب ، محترمة في كافة الأقطار والأعصار .

ومثال الشعر المحلي الجلال قصائد البوصيري في مدح النبي عليه الصلاة والسلام ، فهي عند المسلمين من أروع الشعر ، مع أن غيرهم لا يحس لها بجمال .

٤ - من شأن الإيمان غرس الطمأنينة والرضا في النفوس فترويض المواطن الجنسية الجائعة ، ومطاردة ما يساور النفس من وساوس وألم وحيرة ، وإنما ينبع الشعر من الحب والألم ، وما أحفل حياة الوثنيين والزنادقة بألم منبعه الحيرة ، والفوارق بين الطبقات والتغايب البالية التي لا يقبلها الأديب إذا قبلها البلبد ، وما أكثر دواعي الحب والهيام في حياة زمامها بيد الماطفة والوجدان ، ولا قيود لها من فكر أو شريعة ، ولا مجال

وعدم ظهور الشعراء الكبار في روسيا السوفيتية لإيمان الروس العميق بعبادى الشيوعية واتحادهم منها ديناً هم أحبارهم وحواريهم ؛ ويمكن تعليل ذلك بأسباب منها :

١ - الشعر فن جميل يتأثر بالماطفة وينبع منها ، ويؤثر فيها ، ويقت عندها ؛ والإيمان مرتبة تتجاوز الماطفة إلى الفكر والإرادة ، وهو نوع من المعرفة والتفكير محصور في نطاق العقيدة والناموس ، ومتى تحكم العقل وأحيط بالفكر وقويت الإرادة وأخذ القلب إلى يقين العقيدة ، فلا مجال لخيال ولا جوارح الماطفة ، والحب جميعه موجه للمعبود المعلوم المجهول ... ولذلك تزدهر الفنون الجميلة كلها - لا الشعر وحده - في الوثنيات أكثر من ازدهارها في ظلال الإيمان واليقين ، وكنتف الإسلام والتوحيد ، قانتحت والتصوير والغناء والموسيقى والتمثيل والأناشيد أسس وأصول للديانات الوثنية وطوقسها ، وليس الأمر كذلك في الإسلام واليهودية والنصرانية ، وإذا رأيت في هذه الأديان شيئاً من ذلك ، فهو أثر من آثار الوثنيات السابقة للأمم التي اعتنقت هذه الأديان .

٢ - يعلم الشادون في الأدب أن الاشتغال بالعلم والفلسفة يضعف الشعرية ، وأن شعر الفقهاء والفلاسفة والعلماء خال من الجلال الفني ، يكاد يفوح منه ثقل الفقه ، وجفاف العلم ، وتعقيد الفلسفة ، ذلك لأن الإنسان يمسر عليه أن يعيش في حيتين فكريتين مختلفتين : إحداها يسودها التفكير المنطقي ، وأخرها يسيرها الوجدان والماطفة ، ولأن ألفاظ أية لغة من اللغات قسبان قسم محدود المعنى محصوره ، وقسم يشتمل بجانب معناه الأساسي على معان فرعية يثيرها في النفس جرس حروفه ، أو لفظ آخر متعاقب معه فيها ، أو أصل للمادة التي اشتق منها هذا اللفظ ، أو دلالة على معنيين ، فيراد أحدهما أصلاً ، ويبقى الآخر فرعاً .

والأصل في الأسلوب المعنى أن يستعمل الألفاظ المحدودة المعنى ، كما أن الأصل في الأسلوب الأدبي أن يستعمل الألفاظ ذات المعاني الغرامية ، وقد أشار علماء اللغة إلى المعاني القرعية حينماذكروا أنه لا يوجد في المترادفات لفظان متحدى المعنى تماماً وإنما تكون بلاغة الشاعر في تجنب الألفاظ المحدودة الصلدة القاحلة ، وتتبع الألفاظ ذات الظلال التي تضم إلى أصل معناها فروعاً وأغصاناً وأورثاً وأزهاراً تكسب الشعر حياة وجمالاً وحركة وتصبغ عليه السمو ، وقد لاحظ ذلك قديماً بعض أدباء

والبرهان إذا كانت قادرة على ذلك ، بل إن روح الإسلام يدعو إلى النظر والتفكير ويحافى الفنون الجميلة كلها من شعر ونصير وتمثيل وغناء وموسيقى ونحت ، وكان أنقياء المسلمين ينظرون إلى محترفها نظرة استنكار قد تصل إلى المقاومة والحاربة .

٦ - معلوم أن المواطف تنشأ في الفرد قبل نشوء الفكر ، وأن عبادة آلهة متعددة تنشأ قبل عقيدة التوحيد ، وأن الإنسان كلما تقدم خرج من حكم الماطفة إلى حكم الفكر ، ومن عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة الإله الواحد ؛ ومثل ذلك تماماً في الأمم إذ يسبق عصرها الوثني عصر التوحيد فيكون مسيراً للماطفة لا للفكر ، حتى تصل الأمة إلى طور التفكير والإيمان ، ولهذا يكون العهد الوثني معاصراً للعهد الماطفي في الأمم ، ولهذا أيضاً نجد شعر الشاعر الواحد في شبابه - أيام تأجج الماطفة - أقوى من شعره في شيخوخته عندما ينضج تفكيره .

عطية الشينج

للذة عندها إلا في الحياة الدنيا ، ولا أمل لها في آخرة ، ف راحت تستوفي حفاها من النعم ، وتستمتع ما وسعها الاستمتاع بما في الدنيا من جمال وبهاء ، منشدة قول الشاعر :

تمتع من شميم فرار نجد فما بعد المشية من غرار
أما المؤمن ، فقد اشترى آخريته بدنياء ، وجعل حياته الأولى مجازاً لحياته الثانية ، ورأى في جمال الدنيا مغائن يستدرج بها الشيطان الفارين إلى مهاوى الجحيم ، وهو مطمئن إلى السعادة في الآخرة إن فقد السعادة في الدنيا . وقد لاحظ هيرودوت من قبل عدم نبوغ الشعراء في مصر ظلوا يبتسم من الحب والالم .

٥ - أضف إلى ذلك أن الوثنيات إذ كانت لا تؤمن إلا بمتاع الدنيا ، فتحت الباب على مصراعيه للاستمتاع بها ، وترك الإنسان إشباع شهواته منها ، واستمات على التمسك من القلوب بالتأثير على الماطفة ، إذ كانت عاجزة عن البقاء باستعمال الفكر والمنطق ، فأصبحت تربة خصيبة لنمو الفنون الجميلة التي منها الشعر أما أديان التوحيد ، فقد استماتت في انتشارها بالدليل

وزارة المعارف العمومية

مدرسة المعلمين العليا - ١٩٤٨

نعلن مدرسة المعلمين العليا أن آخر موعد لقبول طلبات الطالبة المستجدين من الناجحين في شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص بدور أول سنة ١٩٤٨ والذين يرغبون اللحاق بأقسام الرياضة ، اللغة الإنجليزية اللغة الفرنسية ، هو يوم ١٩٤٨/٩/٢٥ على أن يراعى الآتي :

١ - يشترط لقبول الطالب بقسم الرياضة أن يكون حاصلًا على شهادة التوجيهية شعبة الرياضة سنة ١٩٤٨ .

٢ - يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الإنجليزية أن يكون حاصلًا على شهادة التوجيهية شعبة الآداب قسم اللغة الإنجليزية

سنة ١٩٤٨ وأن يكون مجموع درجاته في اللغة الإنجليزية لا يقل عن ٦٠٪ من نهايتها المظمى .

٣ - يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الفرنسية أن يكون حاصلًا على شهادة التوجيهية بإحدى الشعب الثلاث سنة ١٩٤٨ قسم اللغة الفرنسية ويجوز قبول طلبة القسم الإنجليزي بشرط أن يكون الطالب حائزًا على ٦٠٪ أو أكثر من درجة اللغة الفرنسية ويشترط أن ينجح في امتحان لهذه اللغة تمقده المدرسة يوم ١١ / ١٠ سنة ١٩٤٨ .

٤ - ويشترط لقبول الطالب بالأقسام الثلاث :

(أ) ألا يزيد سنه على ٢١ سنة في أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ .
(ب) أن ينجح في الكشف الطبي

وفي الاختبار الشخصي للذين يمتدنان بالمدرسة يوم ٢٩ ، ٣٠ / ٩ سنة ١٩٤٨

٥ - يمنح الطالب المقبول مكانة دراسية قدرها ٢٤ جنبًا في السنة إذا كان مجموع درجاته في امتحان الشهادة التوجيهية لا يقل عن ٦٠٪ من المجموع السكلي للدرجات .

فعل راعى اللحاق بإحدى أقسام المدرسة أن يقدموا طلباتهم إلى حضرة المدير العام لمدرسة المعلمين العليا بالأورمان - جيزة - على استمارة ٣٤ د . هـ مصحوبة بشهادة الميلاد أو سورتها الرسمية وبالإستمارة البيضاء المالة على النجاح في الشهادة التوجيهية وبمجموع الدرجات ، بالتمهيد المطلوب الذي يصرف من المدرسة بالجنان موقعاً عليه من الطالب وولي أمره